

التفكر في
ملكوت السماوات والأرض
وقدرة الله تعالى

تأليف

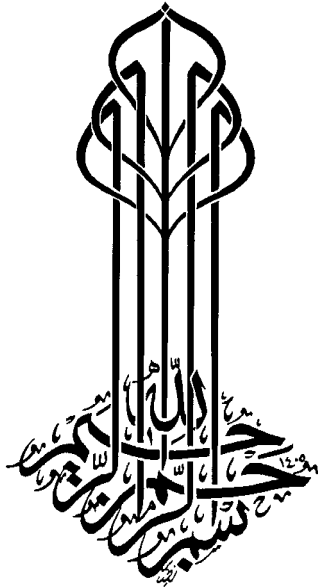
عبد الله بن محمد المنيف

محمد بن علي العرفج

للتواصل مع المؤلف، وإبداء المقترحات
والملاحظات، وطلب الكميات للتوزيع الخيري،
من خلال العنوان الآتي:

E-mail: arfaj11@hotmail.com

جوال: ٠٥٥٥٢٠٤١٤٦





A

إن الحمد لله تعالى نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

قال عمران: ١٠٢.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

النساء: ١١.



أما بعد: فإن خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد @، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. اللهم صل على محمد، وعلى أهل بيته، وعلى أزواجه وذريته.

أما بعد: فهذه ندوة أقيمت في جامع الأمير تركي بن عبد الله، وأشار بعض الأخوة بطباعتها إكمالاً للفائدة.

أسأل الله أن ينفع بها وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

محمد بن علي العرفج

لقد جاء ذكر التفكير في القرآن الكريم في سبع عشرة آية

منها:

١ - قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ يَتْلُو آيَاتٍ لَّكُم مِّنْهَا حِكْمَةٌ وَبُشْرَىٰ لِّقَوْمٍ يُذَكِّرُونَ﴾

﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ يَتْلُو آيَاتٍ لَّكُم مِّنْهَا حِكْمَةٌ وَبُشْرَىٰ لِّقَوْمٍ يُذَكِّرُونَ﴾

﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ يَتْلُو آيَاتٍ لَّكُم مِّنْهَا حِكْمَةٌ وَبُشْرَىٰ لِّقَوْمٍ يُذَكِّرُونَ﴾

﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ يَتْلُو آيَاتٍ لَّكُم مِّنْهَا حِكْمَةٌ وَبُشْرَىٰ لِّقَوْمٍ يُذَكِّرُونَ﴾

النحل: ٦٨ - ٦٩.

في خلق هذه النحلة الصغيرة التي هداها الله الهداية العجيبة، ويسر لها المراعي، ثم الرجوع إلى بيوتها التي أصلحتها بتعليم الله لها وهدايته لها، ثم يخرج من بطونها هذا العسل اللذيذ مختلف الألوان بحسب اختلاف أرضها ومراعيها، فيه شفاء للناس من أمراض عديدة؛ فهذا دليل

على كمال عناية الله تعالى وتمام لطفه بعباده، وأنه الذي لا ينبغي أن يحب غيره ويدعى سواه.

معنى التفكير: كلمة فيها معنى النظر والتفهم.

وقد عرف الراغب الأصفهاني التفكير بأنه جولان قوة الفكر بحسب نظر العقل.

ويستعمل الفكر في المعاني، وهو فحص الأمور وبحثها طلباً للوصول إلى حقيقتها، ولذلك تقول اللغة: إن الفكر هو إعمال النظر في الشيء.

التفكير بالمعنى الأخلاقي الإسلامي القرآني، هو أن ينظر الإنسان في الشيء على وجه العبرة والعظة لتقوية جوانب الخير والصالح ومقاومة دواعي الشر والفساد، ولذلك نجد المفسرين يتعرضون لمعنى قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّبِعُ الْهَوَىَٰ فَيُضِلَّهُمْ شُرَكَاءَهُمْ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَعْبُدُ آبَاءَنَا وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيُوحَنَّا إِنَّمَا كُنَّا نَعْبُدُهُمْ آلِهَةً كَمَا عَبَّادُوا آبَاءَهُمْ غَيْرِ مُتَّفَعِينَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، فيقولون في

التفكير في ملكوت السماوات والأرض وقدرة الله تعالى

معنى $\text{أَبْرَءُكُمْ فِي مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ}$ أي: لكي تتفكروا في أمر الدنيا وأمر الآخرة. فتجنبوا ما يجلب عليكم البلاء والشقاء فيهما، وتعتصموا بما هو لائق بالمؤمنين من الأخلاق والمكارم وتستنبطوا الأحكام وتفهموا المصالح والمنافع المنوطة بها، فتأخذوا بالأصلح وتبتعدوا عما يضركم ولا ينفعكم أو يضركم أكثر مما ينفعكم.

$\text{أَبْرَءُكُمْ فِي مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ}$ * $\text{أَبْرَءُكُمْ فِي مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ}$ [الواقعة: ٧٥ - ٧٦]، $\text{أَبْرَءُكُمْ فِي مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ}$ [النجم: ١]، $\text{أَبْرَءُكُمْ فِي مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ}$ [البروج: ١]، $\text{أَبْرَءُكُمْ فِي مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ}$ [الذاريات: ١٧]، $\text{أَبْرَءُكُمْ فِي مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ}$ [الطارق: ١١].

إن عشرات الآيات في كتاب الله قد عرضت أموراً فلكية

غاية في التنوع بشأن بناء السماء وما فيها من آيات والليل والنهار والقمر والكواكب.

ولقد أثبت ذلك العلم بالدليل ، والمعجزات المذهلة في القرآن العظيم. التي تستدعي على المسلم أن يزداد إيمانه ويقينه بإيمانه بخالقه وقدرته سبحانه ، فيعمل لرضاه ويتعد عن سخطه.

الآثار وأقوال العلماء الواردة في التفكير:

لقد أشاد السابقون من علماء الأمة وبصرائها بمنزلة التفكير السليم القويم.

فقال الشيخ أبو سليمان الداراني: إني لأخرج من منزلي فما يقع بصري على شيء إلا رأيت فيه نعمة ولي فيه عبرة.

قال بشر بن الحارث الحافي: لو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوا الله **U**.

عن الفضيل بن عياض قال: الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك.

قال الشافعي ~ : استعينوا على الكلام بالصمت، وعلى الاستنباط بالفكر.

وقال أيضاً: صحة النظر في الأمور نجاة من الغرور،

والعزم في الرأي سلامة من التفريط والندم، والرؤية والفكر يكشفان عن الحزم والفتنة، ومشاورة الحكماء، ثبات في النفس وقوة في البصيرة، ففكر قبل أن تعزم، وتدبر قبل أن تهجم، وشاور قبل أن تقدم.

قال أبو سليمان: عودوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكير.

وقال: الفكر في الدنيا حجاب عن الآخرة، والفكر في الآخرة يورث الحكمة ويحيي القلوب.

قال ابن القيم ~ : أنفع الدواء أن تشغل نفسك بالفكر فيما يعينك دون ما لا يعينك، فالفكر فيما لا يعني باب كل شر، ومن فكر فيما لا يعنيه فاته ما يعنيه، واشتغل عن أنفع الأشياء له بما لا منفعة له فيه، فالفكر والخواطر والإرادة والهمة أحق شيء بإصلاحه من

نفسك ، فإن هذه خاصتك وحقيقتك التي لا تبعد أو تقترب من إلهك ومعبودك ، الذي لا سعادة لك إلا في قُربه ورضاه عنك إلا بها ، وكل الشقاء في بعدك عنه وسخطه عليك ، ومن كان في خواطره ومجالات فكره دنيئاً خسيساً لم يكن في سائر أمره إلا كذلك.

عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، أنه بكى يوماً بين أصحابه ، فسئل عن ذلك فقال : فكَّرت في الدنيا ولذاتها وشهواتها ، فاعتبرت منها بها ، ما تكاد شهواتها تنقضي حتى تكدرها مرارتها ، ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر إن فيها لمواعظ لمن أدَّكر.

عن الحسن ~ قال : إن أفضل العمل الورع والتفكير ، وقال أيضاً : تفكر ساعة خير من قيام ليلة.
قال عمر بن عبد العزيز : الفكرة في نعم الله U من

أفضل العبادة.

عن ابن عباس } قال : تفكروا في كل شيء ، ولا تفكروا في ذات الله.

عن عبد الله بن عتبة قال : سألت أم الدرداء : ما كان أفضل عبادة أبي الدرداء؟ قالت : التفكير والاعتبار.

عن عامر بن عبد قيس قال : سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب محمد @ يقولون : إن ضياء الإيمان أو نور الإيمان التفكير.

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز : اعلم أن التفكير يدعو إلى الخير والعمل به ، والندم على الشر يدعو إلى تركه ، وليس ما فني وإن كان كثيراً يعدل ما يبقى وإن كان طلبه عزيزاً ، واحتمال المؤونة المنقطعة التي تعقب الراحة الطويلة خير من تعجيل راحة منقطعة تعقب مؤونة باقية.

وعن محمد بن كعب القرظي قال : لأن أقرأ ليلتي حتى الصبح فإذا زلزلت ، والقارعة ، لا أزيد عليهما وأتردد فيهما وأفكر أحب إليّ من أن أهدّ القرآن ليلتي هدّاً ، أو قال أنثره نثراً.

عن ابن عباس } قال : ركعتان مقتصدتان في تفكير خير من قيام ليلة بلا قلب.

كان سفيان بن عيينة ~ يتمثل قول الشاعر :
إذا المرء كانت له فكرة ❖ ففي كل شيء له عبرة
وقال بعض الأدباء :

إنني رأيت عواقب الدنيا ❖ فتركت ما أهوى لما أخشى
فكرت في الدنيا وعالمها ❖ فإذا جميع أمورها تفنى
وبلوت أكثر أهلها فإذا ❖ كل امرئ في شأنه يسعى
أسنى منازلها وأرفعها ❖ في العز أقربها من المهوى

تعفو مساويها محاسنها ❖ لا فرق بين النعي والبشرى
يقول الغزالي: الفكر هو مصباح الأنوار ومبدأ
الاستبصار وشبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم.

i opi op

من فوائد التفكير

- ١ - طريق موصل إلى رضوان الله تعالى ومحبه.
- ٢ - انشراح للصدر وسكينة للقلب.
- ٣ - التفكير يورث الخوف والحشية من الله **U**.

- ٤ - التفكير يورث الحكمة ويحيي القلوب.
- ٥ - كثرة الاعتبار والاتعاظ من سير السابقين.
- ٦ - التفكير قيمة عقلية كبرى تؤدي إلى يقظة الأفراد ونهضة الأمم.

النظر في ملكوت السموات والأرض وقدرة الله سبحانه.
فلقد لفت القرآن الكريم نظر الإنسان بصورة بالغة
الظهور إلى استشفاف دلائل الإيمان عبر تأمل أسرار
السموات الشاهدة على موجدتها.

وفي القرآن الكريم عدد كبير من الآيات الشارحة في
استفاضة أسراراً لهذه السماء، فكان الاستعراض الأعجازي
من جهة دقائقها العلمية مقترناً بالدعوة الملحة للإيمان بهذا
الكتاب وهذا الدين كواجب مصيري على جنس الإنسان،
يقول الله سبحانه: ﴿لَقَدْ آتَيْنَا الْبَنِيَّانَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مَّا يَشَاءُونَ﴾

جذورها فكانها طبيعة ويعاون على التفكير الصمت والسكون حتى يسبح الفكر في آفاق التذكر والتدبر. قال الشافعي: استعينوا على الكلام بالصمت، وعلى الاستنباط بالفكر. ولكن ليس كل صمت يؤدي إلى فضيلة التفكير، فقد يصمت الإنسان عن غفلة، وقد يسكت عن بلادة، وقد يسكت عن شroud، ولذلك قال الحسن: من لم يكن سكوته تفكيراً فهو سهو، وما أوسع المجال للتفكير عند تلاوة آيات القرآن، فإن وراء كل آية من الأسرار والإشارات والنفحات الشيء الكثير، واللائق بالمؤمن المتفكر أن يردد الآية التي يريد التفكير فيها - كما ينصح الغزالي - ويعيدها مرات ومرات بتمعن وتدبر، فإن تحت كل كلمة أسراراً واسعة وقراءة آية بتدبر وتفكير وفهم خير من كثير القراءة بلا وعي.

المستقيم.

i opi op

صور تطبيقية من حياة النبي @ في التفكير

١ - عن عبد الله بن مسعود < قال: قال رسول الله @ : «اقرأ عليّ القرآن»، قال: فقلت: يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «إني أشتهي أن أسمعه

من غيري» فقرأت النساء حتى إذا بلغت \hat{a} رفعت رأسي أو غمزني رجل إلى جنبي،
فرفعت رأسي فرأيت دموعه تسيل^(١).

٢- وعن حذيفة < قال: صليت مع النبي @ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة فمضى، فقلت: يركع بها ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبح وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوذ تعوذ، ثم ركع، فجعل يقول: سبحان ربي العظيم، فكان ركوعه نحواً

(١) أخرجه البخاري (رقم ٤٥٨٢)، ومسلم (رقم ٨٠٠).

من قيامة، ثم قال: سمع الله لمن حمده، ثم قام طويلاً قريباً مما ركع ثم سجد، فقال: سبحان ربي الأعلى فكان سجوده قريباً من قيامه، قال: وفي حديث جرير من الزيادة فقال: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد^(١).

٣ - ومن الخير لنا أن نتذكر أن الرسول @ كان إذا قام للتهجد والتعبد بالليل تطهر واستاك ونظر إلى السماء، ثم تلى قول ربه سبحانه في سورة آل عمران: ﴿إِذْ قَالَ رَبِّي يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ الْأَعْيُنَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اللَّهُ خَيْرٌ لِمَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَبِعَدْوٍ يُغْوِي السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْجِبَالَ أَعْبَدُونَ﴾^(١)

(١) أخرجه مسلم (رقم ٧٧٢).

أَلْ عَمْرَانُ: ١٩٠ - ١٩١، ثم يأخذ في صلاته وتعبده^(١)

وكذلك كان رسول الله @ يتلو هذه الآيات، ويقول: «ويل لمن لآكها بين فكيه ولم يتأمل ما فيها».

والتفكير في خلق السموات والأرض هو أن يتدبروا

ذلك الخلق، ليستدلوا به على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وعلمه وحكمته، فيكون ذلك داعياً إلى قوة الإيمان فيهم وعمق اليقين عندهم، ويكون ذلك داعياً إلى مضاعفة الجهد في العبادة والطاعة لله U، ولقد روي أن بلالاً < جاء لرسول الله @ يؤذنه بصلاة الفجر فوجده يبكي، فقال: يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله

(١) أخرجه البخاري (رقم ٤٥٦٩)، ومسلم (رقم ٧٦٣).

وهو شكر الله وطاعته وعبادته.

ومن هنا كان سفيان بن عيينة يتمثل كثيراً بقول القائل :
إذا المرء كانت له فكرة ❖ ففي كل شيء له عبرة
ومصداق ذلك كله ما رواه ابن عباس } قال : «بتَّ
عند خالتي ميمونة، فتحدث رسول الله @ مع أهله
ساعة ثم رقد، فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر في
السما، فقال : }
ثم قام فتوضأ
واستنَّ فصلى إحدى عشرة ركعة، ثم أذن بلال فصلى
ركعتين، ثم خرج فصلى الصبح»^(١).

(١) أخرجه البخاري (رقم ٤٥٦٩)، ومسلم (رقم ٧٦٣).

ثمرة التفكير:

ثمرة التفكير ثمرة يانعة ممتعة نامية سامية، فمن وراء التفكير يكون العقل والارتداع عن كل ما يقبح ويسوء، والإقبال على كل ما هو جميل ومقبول.

ومن وراء التفكير يكون الإدراك الواعي البصير لجلال الله وعظمته وكثرة نعمه وآلائه.

ومن وراء التفكير يكون الاعتزاز بالله وحده، والذل لوجهه سبحانه، والترفع عن الهوان مع غيره، ومن وراء التفكير تكون الطاعة والاجتهاد في العبادة والازدياد من القربات.

ومن وراء التفكير يكون إحياء الجوانب المشرقة في ذات الإنسان، ويكون إزهاق النوازع الخبيثة الرديئة، ولذلك يقول بشر الحافي: لو تفكر الناس في عظمة الله تعالى ما

عصوه.

ويرى الغزالي ~ أن من ثمرة التفكير تكثير العلم
وتوسيع المعرفة، والمعارف إذا اجتمعت لدى الإنسان
وترتبت أثمرت معرفة أخرى، لأن المعرفة إنتاج المعرفة،
فإذا حصلت معرفة جديدة أدت إلى معرفة أخرى، وهكذا
يمتد النتائج ويمضي الفكر إلى غاية بعيدة.

ما أجمل الشافعي في تصويره لثمرة التفكير بقوله:
صحة النظر في الأمور نجاة من الغرور، والعزم في الرأي
سلامة من التفريط والندم، والروية والفكر يكشفان عن
الحزم والفتنة، ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوة في
البصيرة، ففكر قبل أن تعزم، وتدبر قبل أن تهجم،
وشاور قبل أن تقدم.

وإذا كان التفكير بهذه المنزلة وثمرته بتلك المكانة فالمصيبة

كبيرة حين يحرم الإنسان فضيلة التفكير.

ولقد روي أن الحسن قرأ قوله تعالى في سورة الأعراف:

﴿إِن يَدْرَأْكَ كَإِذَا نَمَى الضُّحَىٰ
لَمْ يَنبُغْ لَهَا وَالسَّوْدَىٰ
فَالْحُبُوبِ أَفَرَأَيْتُمْ
إِذَا كُنَّا فِي الْآبَاءِ
أَعْرَافٍ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، ثم

ذكر الحسن أن معنى «الصرف»: هنا هو أن الله جل وعلا يمنع هؤلاء الأشقياء التفكير في أمر الله **U**.

قال تعالى: ﴿إِن يَدْرَأْكَ كَإِذَا نَمَى الضُّحَىٰ
لَمْ يَنبُغْ لَهَا وَالسَّوْدَىٰ
فَالْحُبُوبِ أَفَرَأَيْتُمْ
إِذَا كُنَّا فِي الْآبَاءِ
أَعْرَافٍ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، ثم ذكر الحسن أن معنى «الصرف»: هنا هو أن الله جل وعلا يمنع هؤلاء الأشقياء التفكير في أمر الله **U**.

التفكير في ملكوت السماوات والأرض وقدرة الله تعالى

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِمَا كُنْتُ مَعَهُ لَكُمُ الْآخِرَةُ وَاللَّأخِرَةُ﴾ [البقرة: ٢١٩-٢٢٠]، لكي تستعملوا أفكاركم في أسرار شرعه وتعرفوا أن أوامره فيها مصالح الدنيا والآخرة، لكي تتفكروا في الدنيا وسرعة انقضائها، وفي الآخرة وبقائها، وأنها دار الجزاء فتعمروها.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِمَا كُنْتُ مَعَهُ لَكُمُ الْآخِرَةُ وَاللَّأخِرَةُ﴾ [الحشر: ٢١]، أي لأجل أن يتفكروا في آياته ويتدبروها، فإن التفكير فيها يفتح للعبد خزائن العلم، ويبين له طرق الخير والشر، ويحثه على مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، ويزجره عن مساوئ الأخلاق،

فلا أنفع للعبد من التفكير في القرآن والتدبر لمعانيه.

قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ وَالْعَدْلَ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَالْإِنْسَانُ لَكَافِرٌ " / يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ وَالْعَدْلَ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَالْإِنْسَانُ لَكَافِرٌ / يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ وَالْعَدْلَ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَالْإِنْسَانُ لَكَافِرٌ .[١٢ - ١٣].

وجملة ذلك أن خلقها وتدبيرها وتسخيرها دال على نفوذ مشيئة الله وكمال قدرته، وما فيها من الأحكام والإتقان وبديع الصنعة وحسن الخلق دال على كمال حكمته وعلمه، وما فيها من السعة والعظمة والكثرة دال على سعة ملكه وسلطانه، وما فيها من التخصصات والأشياء المتضادات دليل على أنه الفعال لما يريد، وما فيها من المنافع والمصالح الدينية والدينية دليل على سعة رحمته

وشمول فضله وإحسانه وبديع لطفه وبره، كل ذلك دال على أنه وحده المألوه المعبود الذي لا تنبغي العبادة والذل والمحبة إلا له، وإن رسله صادقون فيما جاؤوا به، فهذه أدلة عقلية واضحة لا تقبل ريباً ولا شكاً، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

i opi op

قائمة المحتويات

الصفحة	المحتوى
٥	المقدمة
٨	معنى التفكير
١٠	الآثار وأقوال العلماء الواردة في التفكير
١٦	من فوائد التفكير

التفكير في ملكوت السماوات والأرض وقدرة الله تعالى

الصفحة	المحتوى
١٦	النظر في ملكوت السموات والأرض وقدرة الله سبحانه .
١٨	ما هو طريق الفكر وكيف يتحقق؟
٢١	صور تطبيقية من حياة النبي @ في الفكر
٢٦	ثمرة الفكر.
٣٢	قائمة المحتويات